بطرس الاكبر والمرأة

كانت المرأة الروسية قبل بطرس الاكبر سجينة بين جدران منزلها لا يجوز لأحد أن يراها من افراد عائلتها حتى اقرب أقاربها

وقد اطلعنا في جريدة اليوم الروسية التي تصدر في مدينة ريغا على مقالة تاريخية بهذا الصدد عربناها لقراء مجلتنا في مابلي :

قالت الجريدة :

مدّ بطرس الأكبر يده الحديدية القوية وحطم جدران وحواجز ذلك السجن المظلم الذي حكمت به العادات الروسية على المرأة بالسجن المؤبد

لبثت المرأة الروسية قبل بطرس الاكبر مائتين وخمسين سنة سجينة بين جدران قصرها أو منزلها بعيدة عن كل شيء خارجي في العالم ولا تدري من أمور العالم شيئا

وقد أطلق ذلك المصلح العظيم تياراً من نسيم الحياة على منزل المرأة ومزق السجف والاحجبة التي كانت تحجب ذلك الشخص اللطيف الرخص عن الانظار وتمنع عنه نور الشمس والهواء بل تمنع عنه الحياة

كان زواج البنت قبل بطرس متوقفا على ارادة الاب دون سواه لا يعارضه في ارادته معارض وكان العريس لا يرى العروس مطلقا الا ليلة عقد الزواج وكان ذلك من الاسباب الداعية كثيراً ما الى الشقاق والنزاع وهدم سلام العائلة . وكان الزوج يعامل زوجته معاملة الأمة الحقيرة التي لا حول لها ولا طول فيوبخها اذا أراد ويوجه اليها صنوف السباب والشتائم والاهانة ويتصرف بأموالها وأملاكها تصرف الحاكم المطلق ولا يحق لها في كل ذلك ان تقاوم او تعارض والويل لها ان أبدت اشمئزازاً او تضجراً .

وفي عام ١٦٩٣ أصدر بطرس الأكبر أمراً عاماً بمنع الزواج الاجباري وشدد النكير على رجال الدين أمراً اياهم أن يمنعوا كل زواج لا يوافق عليه العريس أو العروس .

وعام ١٧٠٢ أصدر أمراً آخر أمر فيه رجال الدين ان لا يعقدوا زواجاً الا بعد الاعلان عنه مدة ستة أسابيع وفي هذه المدة يجب على الوالدين ان يصرحا للعريس برؤية العروس ومجالسها ومحادثتها ويعاشرها ليعرف كل واحد منهما الآخر وبعد انقضاء المدة يعقد هما او تفسخ الخطوبة اذا لم تتلاءم اذواقهما ولم يعجب أحدهما الآخر . وقبل هذا كان الزواج يتم بارادة والدي العروسين وكثيراً ما كان يتم عقد الزواج بعد ساعات معدودة من اتفاق الوالدين

ثم ان بطرس الاكبر لم يقف عند هذا الحد بل انه أوجد ثورة كبرى في حياة المرأة وحطم تلك القيود التي كانت مقيدة بها فان تلك المنكودة الطالع كانت محصورة ضمن دائرة ضيقة محاطة بأسلاك حديدية وكان يبنى لها جناح خاص في المنزل كجناح الحريم في البلاد الاسلامية القديمة المتمسكة بالحجاب تمسكا شديداً وحتى في أيام الاعياد والاحتفالات العائلية ما كان يسمح لها بالاختلاط مع الرجال او الظهور في المآدب الاهلية . فكانت حياتها تسير على نمط واحد مزعج مسبب للضجر والسآمة حتى قال أحد كتاب الروس في ذلك العصر ان المرأة الروسية مدفونة في الحياة في ضريح واسع مزخرف

وفي عام ١٧١٨ أصدر بطرس الاكبر أمراً قاطعاً قاضياً بتمزيق حجاب المرأة والتصريح لها بالظهور وخروجها من المنزل في أي وقت تريد والاشتراك في السهرات والحفلات الراقصة وغيرها . وكانت أوامر بطرس جميعها قاطعة لا تحتاج الى مشاورة أو تردد وكان يعاقب عقابات صارمة كل من يخالف تلك الأوامر أو يضع العقبات في طريق تنفيذها وقد أحدث هذا الأمر دوياً هائلاً في البلاد وأقام الرجال وأقعدهم — أولئك الرجال الذين كانوا يحافظون على تقاليدهم وعاداتهم محافظتهم على نفوسهم ولكنه خطبها خطباً . وكان هو أول منفذ لها وأمر أن تقام ليال راقصة تبتدىء من الساعة الرابعة أو الخامسة وتنتهي عند الساعة العاشرة مساء يدعو اليها أشراف البلاد وعيونها ووجوهها مع عائلاتهم وأولادهم والويل كل الويل لمن كان يتأخر عن اجابة الدعوة فان صواعق السخط والغضب تنقض على رأسه

وكان اذا حضر ليلة راقصة أو منورة حفلة يقول للحاضرين والحاضرات : لا تنظروا الي كذلك بل اعتبروني كواحد منكم وامنعوا كل كلفة وهكذا انظروا الى كل فرد من أفراد العائلة المالكة اذ نحن الآن اخوان وأبناء وطن واحد اجتمعنا لارتشاف كؤوس المسرات وازالة الهموم عن أفئدتنا المتلبدة فوقها طبقات الغم والكآبة . واليوم خمر وغداً تدبير أمر . وكان يفتتح الرقص بنفسه مع احدى سيدات عائلته ويحذو حذوه الحاضرون فتخاصر الفتاة أو السيدة أحد أقاربها وترقص معه

وفي السهرات العادية كان يجتمع جمهور كبير من الرجال والسيدات فيجلسون في غرف متعددة يتلاهون بلعب الشطرنج (والداما) ومنع الملك اللعب بالورق والعظم منعاً باتاً

ثم ان المرأة الروسية بعد احرازها حرية السفور والخروج من المنزل وحضور المجتمعات العامة أخذت تجتمع بعقائل السفراء والأجانب وأوانسهم واقتبست عنهن روح المدنية والعادات الحديثة والازياء الغربية التي كانت تجهلها تجهلاً تاماً وبناء على ما تقدم فان بطرس الاكبر فتح للمرأة الروسية باب حياة جديد سارت منه الى طريق الرقي والتعليم والمدنية .

شذرات الاخاء

كتب الينا أحد الادباء يقول : أطالع شذرات الاخاء بشوق ورغبة ولذة وأعتقد ان كل شذرة هي عبارة عن مقالة مفيدة شيقة يستفيد القارىء من موضوعها دون أن يشعر بملل او ضجر وطلب الينا ان نكثر من تلك الشذرات ونداوم على نشرها » ونحن نشكر حضرة الكاتب على تقريظه هذا ونقول له وللقراء ان هذه الشذرات تحملنا اتعاباً شاقة ذاتنا للحصول عليها وجمعها نضطر لمطالعة عشرين مجلة وجريدة روسية فالشذرات والنكتات أصعب ابواب المجلة واكثرها تعباً ونصباً ولكننا نعد كل تعب راحة في سبيل رضى قرائنا الكرام